



مقالات RCD

سوريا بين فكي القوة والخوف: مصير الأقليات في زمن الحرب

أ.م. د. علي مراد النصراوي



تنويه
ان كل الاراء الواردة في هذا المقال تعبر عن رأي كاتبها

نبذة عن مركز الرافدين للحوار

يُعدُّ مركزُ الرافدين للحوار RCD من المراكز النوعية في العراق التي تجمعُ على منبرها النخب السياسية والاقتصادية والأكاديمية الناشطة في تداول الافكار البناءة، فهو مركز فكري مستقل (THINK TANK)، يعمل على تشجيع الحوارات في الشؤون السياسية والثقافية والاقتصادية بين النخب كافة؛ لتعزيز التجربة الديمقراطية، وتحقيق السلم المجتمعي، ورفد مؤسسات الدولة والمجتمع بالخبرات والرؤى الاستراتيجية؛ ابتغاء تفعيل دورها والارتقاء بأدائها. ويمثل المركز فضاءً حراً يتسم بالموضوعية والحياد ويوظف مخرجاته لمساعدة صناع القرار وتوجيه الرأي العام نحو بناء دولة المؤسسات.

تأسس المركز في الاول من شباط (فبراير) 2014 في مدينة النجف الأشرف على شكل مجموعة افتراضية في الفضاء الالكتروني تضم عددا من السياسيين والأكاديميين ورجال الدولة التنفيذيين والقضاة والدبلوماسيين ورجال الدين، وقد تطورت الفكرة لاحقاً، ليتم إكسابها الصفة القانونية عن طريق تسجيل المركز في دائرة المنظمات غير الحكومية NGO التابعة للأمانة العامة لمجلس الوزراء العراقي.

يضم «مركز الرافدين للحوار RCD» اليوم كمشاركين في برامجه وفعالياته ونشاطاته أكثر من خمسة الاف عضو عراقي وعربي واوربي واسيوي من التوجهات السياسية والاختصاصات الأكاديمية كافة، اتفق فيه الجميع على اعتماد الحوار ركيزة أساسية لمواجهة المشكلات، وإنتاج حلول استراتيجية، تتناغم ورؤية المركز في بناء شرق اوسط جديد ومختلف ينطلق من عراقٍ مزدهر. كما يعمل في اروقة المركز وضمن كوادره المتقدمة أكثر من 70 شخصاً فاعلاً ومن مختلف الاختصاصات قد توزعوا ما بين مجلس الادارة وهيأة المستشارين والباحثين وزملاء المركز والكادر الاداري فهم يتنافسون فيما بينهم من اجل تقديم النتائج العلمية والثقافية والرؤى السياسية والاجتماعية والاقتصادية الرصينة التي تخدم الوطن والمواطن.

لم يكتفِ المركز بالتواصل الالكتروني، بل أقام مجموعة من النشاطات على أرض الواقع شملت عدداً من الندوات والمؤتمرات وورش العمل والجلسات الحوارية التخصصية والملتقيات السنوية وفي مجالات متعددة، كما عمد المركز الى الاهتمام بالنتائج العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تصدر في قارتي اوريا واسيا حاملاً على عاتقه ترجمتها الى اللغة العربية للاستفادة منها، فضلاً عن طباعة الكتب المؤلفة ذات الصلة بالواقع السياسي والثقافي والاقتصادي والامني، كما شرع بنشر سلسلة الاطاريح والرسائل الجامعية التي تعنى بالأمور التي تخدم الصالح العام فقد تمت طباعة مجموعة منها، كما اعد المركز مجموعة من استطلاعات الرأي الميدانية الى غير ذلك فضلاً عن اصداره مجلة علمية محكمة تضم بين طياتها مجموعة من الابحاث والمقالات العلمية والثقافية تحت مسمى مجلة (رواقات).

فيما يعد ملتقى الرافدين (RCD-FOURM) معلماً بارزاً ضمن انشطة المركز والذي يعد الاول من نوعه في العراق، والاكثر سعةً وتنظيماً، ويهدف الى اثراء الحوار بين صناع القرار والخبراء في القضايا التي تهم البلد والشرق الاوسط، وتعزيز النقاشات بشأنها، وتبادل الخبرات وابرام الاتفاقيات ومذكرات التفاهم وآليات التعاون.

سوريا بين فكي القوة والخوف: مصير الأقليات في زمن الحرب

أ.م. د. علي مراد النصراوي
جامعة كربلاء، مركز الدراسات الإستراتيجية

مقدمة

نجحت بعض شعوب المنطقة في تغيير أنظمتها أثناء الربيع العربي الذي اندلعت شرارته في السابع عشر من كانون الأول / ديسمبر من العام 2010، في الحين الذي فشلت فيه شعوب أخرى في الخروج من حالات الفوضى التي أعقبت التغيرات كما هو الحال مع ليبيا، أما الحال مع سوريا مختلف قليلاً عن بلدان الربيع العربي إذ تسلسلت الأحداث فيها بشكل دارماتيكي بما عرف بالثورة السورية والتي بدأت في آذار / مارس من العام 2011، فمرد الاختلاف بين «الربيع العربي» في سوريا وباقي البلدان متأتي من عدد من المتغيرات الجيوسياسية كالموقع الجغرافي المهم أولاً ومن ثم قوة الفواعل الاقليمية والخارجي كحزب الله اللبناني والجمهورية الاسلامية الايرانية ووجود النفوذ الروسي والعامل التركي والتدخل الاسرائيلي والوجود الامريكي إضافة إلى التدخل الفرنسي وكذلك الرؤية الخليجية والعربية، وهذه الفواعل بكلها ساهمت إسهاماً حاسماً في تأجيج الصراع، ومع تحول الاحتجاجات إلى صراع ومن ثم صدام دموي مزق النسيج الاجتماعي وغير الملامح الديموغرافية والسياسية. لقد عرّت الحرب هشاشة البنية الاجتماعية السورية وكشفت عن عمق التناقضات المتجذرة بين مكوناتها العرقية والدينية والطائفية. وفي خضم هذا الصراع، وجدت الأقليات نفسها بين فكي القوة والخوف: فمن جهة، تحاول بعض القوى السياسية والعسكرية استقطابها وتأمين ولائها؛ ومن جهة أخرى، تعاني هذه المكونات من التهديد والتهجير والعنف المباشر، وسنحاول في هذا المقال تقديم إحاطة شاملة حول الأقليات ومستقبلها ومصيرها في ظل هذا الصراع المستعر وكالتالي:

أولاً: من هم الاقليات ؟

إن أغلب التعريفات التي جاءت لتعرف موضوع الأقليات تشير إلى أنهم مجموعات بشرية تختلف عن الأغلبية السكانية من حيث العرق أو الدين أو اللغة أو الانتماء الثقافي، وتتمتع بوعي ذاتي يميزها عن غيرها. ويكتسب مفهوم الأقليات أهمية خاصة في المجتمعات ذات التعددية، حيث يثير قضايا تتعلق بالاندماج والتمثيل والحقوق والحماية⁽¹⁾، ففي سوريا تتشابك مفاهيم الأقليات مع واقع الصراع الأهلي والطائفي، إذ تتحول الهوية من عامل تنوع إلى أداة تعبئة وتحشيد، وهنا تظهر أهمية مفهوم «الأمن الإنساني» الذي يركز على سلامة الفرد، لا الدولة، بوصفه محوراً لحماية الأقليات، وهناك بعض الأدبيات تستند إلى مفهوم «الحماية عبر التسليح»، حيث تلجأ بعض الأقليات إلى تشكيل ميليشيات أو الانخراط في قوى عسكرية لضمان بقائها في ظل انهيار الدولة المركزية، الأمر الذي له مصاديق في تجارب البلدان عبر الحقب التاريخية.

1-International Crisis Group. Syria's Mutating Conflict and the Threat to Minorities.

ثانيًا: اقلّيات سوريا

عُرِفَت سوريا بتنوعها العرقي والديني، فيإلى جانب الأغلبية العربية السنية، تضم البلاد أكرادًا، تركمانًا، أرمنًا، شركسًا، سريانًا، كلدانيين، بالإضافة إلى علويين، دروز، إسماعيليين، وأيزيديين وقد عاشت هذه المكونات ضمن نسيج اجتماعي مشترك، رغم بعض التوترات العرضية التي حدثت في ازمئة مختلفة ففي عهد الدولة الوطنية، خصوصًا بعد الاستقلال، خضعت الأقليات لسياسات تعريب وتهميش، خصوصًا الأكراد الذين حرم الآلاف منهم من الجنسية السورية. أما في عهد حزب البعث السوري فقد تم توظيف بعض الأقليات، وخصوصًا العلويين، في مفاصل الجيش والأمن، الأمر الذي كون توازنًا هشًا ومبنيًا على الولاء السياسي لا على العدالة الاجتماعية، وهذه أكثر التهم التي روج لها معارضو نظام الأسد خلال الحقبة السابقة أو اتهامه بالولاء لإيران واتهام العلويين بالسيطرة والنفوذ والتحكم وهو ما ينفيه العلويين.

ثالثًا: الأقليات والصراع السياسي والعسكري

بدأت مواقف الأقليات تتباين حال اندلاع الازمة السورية، وازداد الطابع المسلح للصراع، بحسب كل فئة والتي جرى صياغة موقفها حسب المرحلة والأدوات المتوفرة وهي كالتالي⁽¹⁾:

الكرّد: وهم أكثر من استفاد على أثر انسحاب النظام من شمال شرق سوريا، وشكلوا إدارة ذاتية (روج آفا)، وتم تأسيس قوات سوريا الديمقراطية التي حظيت بدعم أمريكي، لكنها ظلت محل تهديد من قبل تركيا وفصائل المعارضة المسلحة، لكن الدعم الأمريكي مكنهم من بسط نفوذهم وفق تسليح وتمويل كبير وفرضوا سيطرتهم على مناطق شاسعة وتتوافر فيها حقول نفط لكن تركيا وفصائل سورية أخرى خاضت معهم اشتباكات عنيفة وجرى إجبارهم على الانسحاب من مناطق عدة، وفق رؤية تركية بما يعرف بالمناطق الآمنة ضافة إلى أن الكرّد خاضوا قتال عنيف ضد داعش الإرهابي والآن مناطقهم تضم أكبر معتقل لعناصر التنظيم الإرهابي إضافة إلى مخيم الهول وهو من أكبر المخيمات الذي يضم لاف من عوائل تنظيم داعش الإرهابي.

المسيحيون: أثناء دوران رحي الاقتتال كان قد اختار جزء من المسيحي السوريين دعم النظام خوفًا من الجماعات المتطرفة، بينما التزم آخرون الحياد أو هاجروا، وقد تعرضت العديد من بلداتهم للهجمات مثل معلولا والقريتين وتعرضوا للسبي والقتل.

العلويون: باعتبارهم كانوا ينتمون للطائفة الحاكمة، وقد خاضوا الصراع دفاعًا عن النظام، لكنهم دفعوا ثمنًا باهظًا على مستوى الضحايا، حتى بعد سقوط نظام الأسد فقد تعرضوا لمذبحة كبيرة من قبل الجماعات المتطرفة التي هجمت مدن الساحل السوري ذي الأغلبية العلوية وقتلوا وذبحوا وقد وثقت الكثير من المشاهد ذلك بينما نفت الإدارة السورية الحالية مسؤوليتها عن ذلك واتهمت جماعات

1- Yassin al-Haj Saleh, The Impossible Revolution: Making Sense of the Syrian Tragedy, Hurst Publishers.

متطرفة بالقيام بتلك الأعمال الأمر الذي شكك فيه العلويين واتهموا الإدارة السورية بممارسة حرب إبادة ضدهم.

الدروز: كانوا قد انتهجوا الحذر منذ بداية الأزمة السورية، رافضين الانخراط الواسع في القتال، رغم محاولات النظام والمعارضة استمالتهم، وقد شهدت مناطقهم هجمات دامية مثل مجزرة السويداء 2018 وشكلوا وحدات حماية ذاتية وأيضًا تعرضوا لهجمة كبيرة من الإدارة السورية الجديدة مدعومة بقوات محلية وعشائر من البدو لهجوم واسمع راح ضحيته أكثر من ألف شخص .

الإسماعيليون والشركس والأرمن: التزموا غالبًا الحياد، وركزوا على البقاء والتفاوض مع الأطراف المسيطرة على مناطقهم.

رابعًا: الحذر والانتظار وبناء المواقف السياسية:

لعب الخوف دورًا مركزيًا في تشكيل مواقف الأقليات. فالنظام السوري استخدم خطابًا يؤكد حمايته للأقليات من خطر الإرهاب والتكفير، ما جعل كثيرًا منهم يعتبرونه «الضامن الوحيد» لبقائهم. في المقابل، مارست بعض الجماعات المسلحة خطابًا عدائيًا تجاه الأقليات، ما زاد من مخاوفهم وعزز من تحالفهم مع النظام أو القوى الخارجية الى جنب ذلك ظهر أيضًا دور لجماعات مسلحة عملت كأدوات لحماية الهوية، لكنها ساهمت من جهة أخرى في تعميق الانقسام الأهلي، وأدت في بعض الحالات إلى ارتكاب انتهاكات ضد مكونات أخرى، ما خلق دائرة من العنف المضاد والانتقام.

خامسًا: التدخلات الخارجية وتأثيرها

أن الازمة السورية كانت قد امتدت تأثيراتها للمستوى الاقليمي كما اسلفنا وحتى الدولي إذ أن إيران كانت قد دعمت النظام السوري سياسيًا وعسكريًا، وأسهمت في تشكيل جماعات محلية ذات انتماء شيعي، وهو ما أثار مخاوف أطراف أخرى متعددة والتي ردت بدورها عبر دعمها لجهات ذات توجه آخر، في حين أن روسيا دائماً ما كانت تركز على حماية الدولة السورية، بما في ذلك الأقليات، وسعت إلى إبراز دورها كضامن للتعددية الدينية أما تركيا قد تدخلت لمواجهة النفوذ الكردي، وارتكبت قواتها وفصائل المعارضة انتهاكات ضد الأكراد والمسيحيين في عفرين وتل أبيض إلا أن الولايات المتحدة وفرت الدعم لقوات سوريا الديمقراطية، وهو ما منح الأكراد نفوذًا غير مسبوق، لكنه هش سياسيًا في وسط كل ذلك فأن الأمم المتحدة: حاولت عبر منصات جنيف وأستانا تقديم حلول تراعي حقوق الأقليات، لكنها ظلت غير فعالة بسبب التعطيل السياسي.

سادسًا: عوامل إنصاف الاقليات في سوريا

إن مستقبل الأقليات في سوريا مرتبط أولاً بمدى نجاح أي عملية سياسية (دستور جديد، انتخابات،

أو تسوية دولية). كلما كان هناك عقد اجتماعي جامع، كلما ازدادت فرص الأقليات في المشاركة بشكل آمن وهذا يحتاج للأمور التالية:

1- توفير الاستقرار السياسي:

إذ أن مستقبل الأقليات مرتبط أولاً بمدى نجاح أي عملية سياسية (دستور جديد، انتخابات، أو تسوية دولية). كلما كان هناك عقد اجتماعي جامع، كلما ازدادت فرص الأقليات في المشاركة بشكل آمن.

2- تعزيز الهوية الوطنية:

تحتاج سوريا إلى نموذج هوية وطنية جامعة تتجاوز الانقسامات الطائفية والقومية، أو العكس: استمرار التشرذم والاعتماد على الانتماءات الطائفية/العرقية.

3- الحد من تأثير القوى الإقليمية والدولية:

ضرورة ابعاد الأقليات عن الصفقات الإقليمية (تركيا، إيران، روسيا، الغرب) دون استثمار هذه القوى بورقة «حماية الأقليات» لتحقيق نفوذ سياسي.

4- تعزيز المشاركة السياسية وبناء التحالفات المجتمعية:

ضرورة تشجيع الأقليات على الانخراط في الحوارات الوطنية والدستورية لضمان أن حقوقهم ليست هامشية وأن الأقليات بحاجة لتحالفات مع الأكثرية المعتدلة، لضمان عدم عزلهم أو استخدامهم كورقة ضغط.

5- حماية الثقافة والهوية:

التوجه نحو الاستثمار في التعليم، الإعلام، والمبادرات الثقافية للحفاظ على اللغات والتراث (السريانية، الكردية، الأرمنية) من الاندثار مع المطالبة بضمانات دستورية وتفعيل المساواة أمام القانون وتمثيل عادل في المؤسسات ووضع قوانين تحمي من التمييز الديني/العربي.

6- الانفتاح على الشتات السوري:

عبر استثمار طاقات أبناء الأقليات في الخارج (مالياً وثقافياً وسياسياً) لدعم وجودهم داخل سوريا.



مركز الرافدين للحوار
Al-Rafidain Center For Dialogue
R . C . D



www.alrafidaincenter.com



009647826222246



[alrafidaincent](https://twitter.com/alrafidaincent)



[alrafidaincenter.com](https://www.facebook.com/alrafidaincenter.com)



[alrafidaincent](https://www.telegram.com/alrafidaincent)



ص . ب . 252



info@alrafidaincenter.com



مركز الرافدين للحوار RCD



العراق - النجف الاشرف - حي الحوراء - امتداد شارع الاسكان
العراق - بغداد - الجادرية - قرب تقاطع ساحة الحرية